

محمد السعيد الزاهري والصحف المشرقية
مجلة الرسالة أنموذجا
أ. عايدة حباطي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص:

يعد محمد السعيد الزاهري من ألمع الشخصيات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ومن أبرز أعلامها؛ امتد نشاطه الصحفي وطنيا وعربيا، وتميز دون باقي أقرانه بقلم سيال، وطرح جريء لمختلف الموضوعات، فلمع اسمه مغاريا وعربيا، وعُد واحدا من نبغاء الأدب العربي؛ كطه حسين، والرافعي، والزيات، مراسلاته لمختلف الصحف العربية؛ كالفتح والمقتطف والرسالة.

إنا نتساءل في هذا المقام عن نوعية مراسلاته؟ أكانت سياسية أو إصلاحية أو أدبية؟ وما هي أهم الموضوعات التي طرقها؟ ومدى تفاعله مع المشرق، الذي شهد زخما فكريا، فهل تقاطعت أفكاره ومفكري المشرق؟ أم انفرد بطرح خاص للأفكار، وذلك من خلال مشاركاته في الصحف المشرقية؟ خاصة مجلة الرسالة التي اتخذتها أنموذجا عن مراسلاته؟ وكيف استقبلت الصحافة المشرقية علما من أعلام المغرب العربي؟.

Abstract:

Mohamed al-Said al-Zahiri is considered one of the most distinctive and active figures in the contemporary history of Algeria. His works are very popular in Algeria and the Arab world as well. Moreover, writing about different topics freely and openly made him a well known author in both Arab and Maghreb world, along with many other brilliant writers as: Taha Hussein, Al-Rafe'i, Al-Zayyat, etc. He also rose to fame thanks to his letters to some widely read newspapers, like: Al-Fat'h, Al-Moktataf and Al-Rissala. And now we are basically questioning the type and content of those letters; whether they were political or literary, and to what extent they were related to Middle East. Thus, we chose "Al-Rissala" magazine to be our case study in order to see how newspapers in Middle East perceived

عرف المشهد الفكري والإصلاحي في الجزائر، ظهور شخصيات فعالة بعبائها المتنامي والتميز، دون أن يكون لها حضورا يعكس مكانتها العلمية والأدبية والإصلاحية، وهو ما يثير في الذاكرة التاريخية العديد من التساؤلات؛ عن سبب تهميش هؤلاء الأعلام، وتعتيمهم إعلاميا، فظلوا بذلك طي النسيان.

فلسبب أو لآخر، اهتمت بعض الدراسات بثلة من رواد الحركة الإصلاحية دون غيرهم، بينما طمست آخرين، رغم رصيدهم الفكري المدوّن في الكتب والمقالات المحررة على أعمدة الصحافة الجزائرية والعربية، ودورهم الإصلاحي والتعليمي، ومن هؤلاء محمد السعيد الزاهري؛ الذي اتفقت جل الدراسات التي تناولته بالبحث، على قتلها¹ عن إقصاء الرجل، وعدم الالتفات لجهوده الفكرية والإصلاحية والأدبية نثرا وشعرا، خاصة في مرحلة ما بعد الاستقلال، في حين لمع نجم رواد إصلاحيين؛ كابن باديس والإبراهيمي والعقبي والمدني، وجمع شتات قصائد شعراء آخرين في دواوين؛ كمحمد العيد آل خليفة وأبي اليقظان.

والمطلع على رصيد الزاهري، يتيقن أنه ذو قلم سيّال وطرح جريء لمختلف القضايا التي عرفتها الجزائر والعالم العربي، فاستحق معها الاحترام والتقدير وطنيا وعربيا؛ بأن نعنته الشهاب البادسية، بالشاعر الملي الكبير، وعدّه شكيب أرسلان (1869-1946) أحد أعمدة النهضة الأدبية وحملة عرشها، والذين ذكر منهم؛ عبد الحميد بن باديس والملي

¹ - من المصادر والمراجع التي تناولته: محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926. صالح خريفي: محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. وأعمال أكاديمية أخرى؛ كعبد السلام ضيف: محمد السعيد الزاهري كاتبا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 1993-1994. وأحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006. وعبد الكريم طيبش: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري، من خلال جريدة البرق، دراسة احصائية فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007. ورغداء محمد أديب زيدان: «محمد السعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير»، مجلة التراث العربي، ع107، ص27، اتحاد كتاب العرب، دمشق، تموز 2007، ص ص 69-80.

والعقبي والزهري². ونافس عربيا فطاحلة الأدب العربي في المشرق؛ كطه حسين، والرافعي، والزيات محملا وناقدا وقاصا، من خلال كتابته في الصحف المشرقية، والتي ستكون لنا معها وقفة خلال هذا المقال.

ومن هنا نجد أنفسنا أمام جملة اشكالات منها: ماهي عناوين الصحف المشرقية التي اتصل بها الزاهري؟ وما هي الموضوعات التي طرقها هل كانت سياسية أم إصلاحية دينية أم أدبية؟ وما هي منطلقاته الفكرية في المعالجة؟ وما مدى تأثيره بالنقاشات الفكرية والأدبية المثارة في هذه المجالات، خاصة مجلة الرسالة، التي أمَّها الأدباء وكبار الشعراء؟.

1. نشأته وتكوينه:

هو محمد السعيد الزاهري بن البشير بن علي بن ناجي المولود في منطقة ليانة³ سنة 1900م، وهي السنة المرجحة⁴ لدينا، والتي ذكرها شخصيا في ترجمة حياته لكتاب شعراء الجزائر، حين قال: «في 25 شعبان 1344هـ نفضت يدي من ستة وعشرين عاما»⁵، وهي السنة الموافقة لسنة 1900 ميلادية.

تلقى تعليمه الأولي على مستوى بلدته ليانة، أين حفظ القرآن منذ السابعة من عمره في الكتاتيب القرآنية على غرار جل أقرانه من الجزائريين. ثم مبادئ الفقه والتوحيد والنحو على يد جده لأبيه علي بن ناجي، الذي لمح في الطفل نهما للتعلم بكثرة أسئلته⁶. ثم عمه عبد الرحيم الزاهري، الذي قال عنه: «فما كان له همٌّ إلا أن يبلغني إلى حيث بلغ

² - مجلة الشهاب، مج6، ج8، سبتمبر 1930، 468.

³ - ليانة قرية من قرى الزاب الشرقي بيسكرة

⁴ - تضاربت التواريخ التي أرخت لميلاد الرجل، فمنهم من جعله سنة 1897، في حين ذهب آخرون إلى سنة 1899، فيما ذهب بعضهم الآخر إلى سنة 1901، ومرد هذا التضارب تأخر تسجيل المواليد في سجلات الحالة المدنية، فقد تم تسجيل الزاهري في تلك السجلات سنة 1936، وعمره آنذاك 35 سنة. للمزيد انظر: أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير مخطوطة، ص2.

⁵ - محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج1، ص63.

⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص64.

هو من العلم، فلم يدع سبيلا لتفهيمي إلا سلكها... فيملي عليّ ما ينفعني»⁷. ليواصل تعليمه في الأسرة الزاهرية، التي أحاطته بالرعاية، فأخذ علم الفرائض أو الموارث عن الشيخ محمد بن ناجي الزاهري، والشيخ علي بن العابد السنوسي⁸.

فكان تلقيه في هذه المرحلة يعتمد بشكل كبير على نوع من الحرية في طرح أفكاره واستفساراته، وربما مرد هذه الحرية لكونه تربى بينهم يتيم الأب، فلم يأت الزاهري على ذكر أبيه في أية مرحلة من مراحل حياته، وهو الأمر الذي افتقده أثناء مواصلته لدراسته على يد عبد الحميد بن باديس، عند تنقله إلى قسنطينة، التي ظل فيها مدة ناهزت الأربعة عشر شهرا، لم يتحمل خلالها الزاهري الانضباط الذي فرضه الشيخ في درسه، وعدم رضاه عن ابداء انتقاداته والتي عُنف لأجلها أكثر من مرة، الأمر الذي اعتبره الزاهري ضغطا على الأفكار، وقتلا للمواهب، مع اعترافه لشيخه بالعلم العريض والإطلاع المحيط واللسان العربي المبين، ما جعله يقرر العودة إلى مسقط رأسه⁹.

وفي هذه المحطة من محطات الزاهري التعليمية، نرى أن قسنطينة كانت من المؤكد محطة حتمية للزاهري وغيره، ممن يرغب في الاجتياز لتونس والمشرق العربي قصد التعلم. إلا أننا نفتقد للتفاصيل التي حملت الزاهري للتنقل إليها، ولا تاريخ هذه الرحلة.

وفي محطة تعليمية أخرى، قصد فيها الزاهري جامع الزيتونة بتونس، للحصول على الشهادة العالمية "التطويح". لازم فيها الأساتذة، وأخذ عنهم كلام العرب ونقده، صحيح في ذوقه، وحزمه في تمحيص الحق من الباطل، في كل مسألة تعترضه على حد تعبيره¹⁰. وقد أشاد الزاهري بدور الزيتونة وكان يفتخر بالانتساب إليها، كما أشاد بأساتذته هناك، خاصة منهم معاوية التميمي¹¹ الذي لازمه ملازمة الظل لصاحبه¹². وعرف الزاهري في تونس

⁷ - المصدر نفسه، ج1، ص65.

⁸ - المصدر نفسه، ج1، ص65.

⁹ - المصدر نفسه، ج1، ص65-66.

¹⁰ - محمد الهادي السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص66.

¹¹ - معاوية التميمي (ت1944) من علماء جامع الزيتونة، انتدب للتدريس به سنة 1925. صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص25.

نشاطا مميزا؛ فارتاد مكتباتها، وحضر نواديها الفكرية والأدبية، مسامرا ومنادما لروادها وزوارها، كما بدأ فيها -تونس- بصقل قلمه الصحفي، كأديب وشاعر وناقد عبر صفحات جريدة النهضة¹³ والوزير¹⁴ والزهرة¹⁵، وتفاعل مع أحداثها.

وبعد تخرجه عاد إلى الجزائر (1925)، بمعية العائدين، الذين حملوا هموم الجزائر في قلوبهم، وكلهم حماس لتغيير واقعهم وإصلاحه. فشارك بقلمه في الحركة الثقافية والتعليمية في بسكرة والأغواط سنة 1927، وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين، وانتخب عضوا في مجلسها الإداري بعد عام من تأسيسها. وبسط نشاطه الاصلاحى ما بين (1932-1938) في وهران، التي أسس بها مدرسة وناديا ثقافيا للإصلاحيين¹⁶. ومنذ 1938 بدأ الزاهري ينحرف عن المنهج الإصلاحي، ويتعد شيئا فشيئا عن الجمعية وأعضائها، تعاضم الخلاف بينهم غداة الحرب العالمية الثانية، وأصبحت خصومة وهجاء كتلك التي وقعت بينه وبين الإبراهيمي¹⁷. وقد تبنى -الزاهري- مع تأسيسه لجريدة الوفاق (1938) مبادئ أخرى تقوم على سياسة التقارب بين جميع أطراف الجزائر؛ بما في ذلك الطرفين الذي كان عدوهم اللدود فيما قبل.

¹² - محمد الهادي السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص65.

¹³ - جريدة النهضة التونسية، أسسها الطاهر بن الحاج مبروك، ورئيس تحريرها الشاذلي القسطلبي، وهي من الصحف ذات الاتجاه الوطني الاستقلالي، كان ظهورها ما بين (1923-1953).

¹⁴ - الوزير؛ أسسها الطيب بن عيسى ذو الأصول الجزائرية، ظهرت ما بين (1920-1956).

¹⁵ - الزهرة، مؤسسها عبد الرحمان الصندالي، شهد ظهورها عدة تقطعات خلال المدة الممتدة ما بين (1889-1953).

¹⁶ - علي مراد: الحركة الإصلاحية الاسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925-1940، تر: محمد بجاتن، ط2، دار الحكمة الجزائر، 1999، ص131.

¹⁷ - البصائر، "إلى الزاهري"، ع61، 27 ديسمبر 1948. والبشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 (عيون البصائر)، جمع وتحقيق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص558.

وغداة الثورة التحريرية، وبسبب موقفه الجريء الذي ساند فيه مصالي الحاج، المنشق عن صفوف حزب جبهة التحرير الوطني، جعل هذا الأخير يصدر أمرا بتصفيته الجسدية سنة 1956. وهي السنة التي تم اغتياله فيها.

وفي الحقيقة كانت لهذه المواقف التي تبناها الرجل، وزيعه عن المنهج الإصلاحية، من أهم الأسباب التي جعلته يعد عدوا للقضية الوطنية، ويلحقه الإقصاء والتهميش.

2. نشاطه الصحفي:

لقد أبدى الزاهري اهتماما خاصا بالصحافة، لإدراكه مدى خطورتها في تطور الشعوب، وتحررهم من طغيان المستعمر، منذ عودته إلى الجزائر (1925)، عكس فيها توجهه الفكري، وأهدافه السياسية والتهذيبية، وتطلعاته الأدبية، فواكب فيها تغيرات المجتمع، وسائر قضاياها السياسية والاجتماعية والثقافية، فساهم في نشر الوعي الديني والاجتماعي والوطني في فترة بدأت النهضة الفكرية تدب إلى الجزائر مع العائدين من ديار المهجرة والمتعطلين لتغيير أوضاعهم.

وكان اقتحامه لهذا الميدان مبكرا، تزامن وفترة تواجده في تونس من أجل التحصيل العلمي في الزيتونة¹⁸ فكانت جريدة النهضة التونسية، أول من أتاح له فرصة الكتابة على صفحاتها بقصيدة "رسائل تهنئة" في عددها الرابع، يهنئ فيها الجريدة بمناسبة تأسيسها، ومما جاء في بعض من أبياتها¹⁹:

إن الجرائد مرآة الشعوب بها ترى ونعلم ما إليه قد وصلوا
حييت من نهضة بالشعب ناهضة إلى المكارم لا ينتابك الفشل

¹⁸ - محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص306-307.

¹⁹ - أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحية عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص18. نقلًا عن: مجلة النهضة، ع4، س1، 4 أكتوبر 1923، ص3.

وإذا أردنا تقييم نشاط هذا العلم الصحفي، الذي طال أمد نشاطه في هذا الميدان إلى ما يقارب ثلاثة عقود، خلّف فيها إرثا فكريا وثقافيا غزيرا؛ يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أصناف؛ مؤسس لبعضها، ومشارك في بعضها، ومراسل لصحف أخرى.

فقد أنشأ منذ عودته إلى الجزائر، جريدة الجزائر (1925) التي حملت شعار "الجزائر للجزائريين"؛ وهو شعار خطير؛ فالمطلع على أوضاع الجزائر في تلك الفترة من عشرينات القرن الماضي، يرى أن في هذا الشعار جرأة واندفاعا شبايبا غير معهود لجيل عصره، لما فيه من تحد لفرنسا الاستعمارية.²⁰ التي عطلتها بعد صدور عددها الثالث، لمضمون مقالاتها التي لم يختلف عن شعارها²¹ وقد حاول الزاهري في هذه الجريدة أن يخلف جريدة الإقدام للأمير خالد بعد نفيه إلى الإسكندرية (1923)، وحظيت محاولته بالاشادة والترحيب²².

ورغم وأدها المبكر بحجة ترجمة كلمة نفضة بالكلمة الفرنسية إلى ما معناها (الثورة)، وفرنسا

²⁰ - صالح خريفي: محمد السعيد الزاهري، ص32.

²¹ - ففي العدد الأول منها، استهلها بقصيدة لامية بعنوان: "الجزائر تحي الجزائر"، وهي قصيدة حماسية، أراد أن يبعث بها همم الجزائريين، ويحرك مبدأ الإصلاح وتغيير مآلهم مما جاء فيها:

ويا ويح أحرار الجزائر كم وكم يهيج عليهم من هموم وبلبل
لقد كسر الناس القيود وحطموا ونحن بقينا في قيود وأغلال

انظر: محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج1، ص69.

ولم يقلل الزاهري من حدة قلمه في مواجهة فرنسا الاستعمارية في عدد الجريدة الثاني (20 محرم 1344/ 10 أوت 1925)، فكتب مقالا قصصيا، تحت عنوان: "المساواة فرنسوا الرشيد". ينظر: عبد المالك مرتاض: «صورة المقاومة الوطنية في قصة فرنسوا والرشيد للزاهري»، مجلة إنسانيات، ع21، مركز البحث في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، 2003، ص ص33-54.

²² - قال عنها عبد الحميد بن باديس في المنتقد: «أتمها جريدة سياسية أدبية أخلاقية اجتماعية، تصدر بالجزائر، لصاحبها الكاتب الشاعر الشيخ السعيد الزاهري، جلا علينا العدد الأول منها مقالات بليغة في متانة تعبير وسمو فكر ونبالة مقصد، وثقة ببلوغ الغاية، وجدير بها إذا كان السعيد واضعها وأن يكون السعد مطلعها...» انظر: المنتقد، ع5، 11 محرم 1344هـ/ 30 جويلية 1925م، ص3. وقال عنها أحمد توفيق المدني: «إنها محررة بلهجة حرة لم تستطع الحكومة أن تستسيغها». انظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار المعارف، ط2، الجزائر، 1962، ص347.

الظافرة المنتصرة بفرنسا الظالمة الغاصبة²³. إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة الرجل فأتبعها بجريدة البرق (1927)؛ التي عرّفها مفدي زكريا في معرض كتابه: "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" بأنها صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية، تصدر يوم الإثنين من كل أسبوع، مديرها وصاحب امتيازها السيد الرحومي محمد عبد المجيد، شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال...²⁴. وقد جعل منها الزاهري منبرا اصلاحيا للرد على الطرقيين، وفضح أساليبهم، بعد أن طلبت الشهاب من الشباب تخفيف لهجتهم²⁵. فأنت مقالاته بكل ألوان السخرية المريرة والضاحكة، شاركه فيها مبارك الميلي (البيضاوي)، والأمين العمودي (السمهري) والطيب العقبي والعزوي حوحو²⁶.

وكان توقيع الزاهري فيها أحيانا باسمه الصريح، وفي أحيان أخرى بأسماء مستعارة؛ كفاتك، وتأبط شرا والرقيب، والراصد، والجساس، والصاعقة...²⁷. وله بما ركن دائم في كل الأعداد تقريبا بعنوان قوارص؛ هاجم فيه الطرقية وشيوخها وأتباعها ومريدوها، وكان الزاهري عنيفا قاسيا جريء القلم، لا يتورع عن النيل من خصومه بشتى الأساليب، قد تصل إلى حد الإسفاف، على حد وصف محمد ناصر: «إن جبين الحياء ليتصبب عرقا من بعض قوارصه الماجنة»²⁸.

²³ - حسب ما جاء على لسان الزاهري في مقاله: "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج9، ج9، 1933، ص405.

²⁴ - مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2008، ص180.

²⁵ - محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها، (1903-1931)، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص120.

²⁶ - محمد ناصر: المرجع نفسه، مج1، ص129-130.

²⁷ - انظر: عبد الكريم طيبش: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري، من خلال جريدة البرق، الذي تناول الجريدة بكثير من التفصيل.

²⁸ - محمد ناصر: المرجع السابق، مج1، ص131.

ورغم طول عمر جريدة البرق التي دامت 6 أشهر، (7 مارس إلى 15 أوت 1915)، ظهر خلالها 23 عددا، خلافا لجريدة الجزائر، إلا أنهما لقيتا نفس المصير، وهو التوقيف القصري.

أما جريدة الوفاق الأسبوعية (1938)؛ فقد جعلها منبرا لمنهج الجديد، الذي سلكه بعيدا عن الجمعية، والداعي إلى التقارب بين مختلف الطوائف الجزائرية، بما في ذلك الطرقية، ونبد الشقاق لمواجهة العدو المشترك، وخدمة الصالح العام.²⁹

وواصل الزاهري نشاطه الصحفي بأن أصدر جريدة المغرب العربي (1947)، والتي اختفت ثم عادت قبيل اغتياله سنة 1956، وقد ناصر فيها مصالي الحاج في خلافه مع حزب جبهة التحرير الوطني³⁰. وكان ما نشره فيها مدعاة وسببا مباشرا لتصفيته (1956). بينما جريدة عصا موسى التي أسسها سنة 1950، وأسندها إلى مبارك عبد القادر، والتي شاركه في تحريرها مجموعة من الإصلاحيين³¹، وانتقد فيها جريدة الشعلة، التي أصدرها أحمد رضا حوحو³².

كما شارك الزاهري إلى جانب الطيب العقبي في تحرير جرائد السنة والشريعة والصراط على التوالي؛ وهي جرائد أوكلتها الجمعية إليهما بالتحرير، وكانت الطرقية هي الموضوع الغالب عليها - الجرائد-، بفضح أباطيلهم ومنهجهم، وردائهم³³. إلى جانب موضوعات تخص المرأة الجزائرية والتبشير...

²⁹ - زبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971، ص118-119.

³⁰ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص171. وللمزيد أيضا انظر:

Fatima Zohra Guechi : La Presse Algerienne de longue Arabe (Al Djazair al djadida) et (Al Magherbe al Arabi), 19461949-,DEA, 1979.

³¹ - مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية، ص188.

³² - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج5، ص272.

³³ -

ونشر الزاهري العديد من الأعمال الأدبية (نثرية وشعرية)³⁴، عبر مجلة الشهاب، تناول فيها قضايا دينية واجتماعية وتربوية أخلاقية. بينما اختصرت مشاركته في جريدة البصائر، السلسلة الأولى على موضوع إصلاحى واحد، وقصيدة شعرية³⁵. كما بشر فيها

الصفحة	التاريخ	العدد	عنوان المقال	المجلة
5-2	7 جمادى الأولى 1352هـ/28 أوت 1933	7	اعترافات طرقي قلم	مجلة الشريعة
6-5	4 رجب 1352/23 أكتوبر 1933	6	زيارة سيدي عابد 1	الصراط السوي
6-4	17 رجب 1352/6 نوفمبر 1933	8	زيارة سيدي عابد 2	الصراط السوي
5-4	16 شعبان 1352/4 ديسمبر 1933	12	زيارة سيدي عابد 3	الصراط السوي
6-4	23 شعبان 1352/11 ديسمبر 1933	13	زيارة سيدي عابد 4	الصراط السوي
3-2	15 رمضان 1352/1 جانفي 1934	16	زيارة سيدي عابد 5	الصراط السوي
6-4	21 جمادى الأولى 1352/ 11 سبتمبر 1933	1	اعترافات طرقي قلم	الصراط السوي

³⁴ - ومن شعره قصيدة معنونة بـ "ويح الجزائر"، عبر فيها عن آلامه، بسبب ما لحق الجزائر من ركون وسكون قال في مطلعها:

ما كان لي في حاجة ومراد
إلا تيقظ أمتي وبلادي
هبت جميع الناس من النوم ولم
تزل الجزائر في لذيذ رقاد
هذه الحوادث أيقظت من هولها
حتى الجماد فعاد غير جماد
ما للجزائر لا تحرك ساكنا
أفلم يكن أبنائها بعيدا

³⁵ - من ذلك مقاله: "الإصلاحية بين نارين"، جريدة البصائر، ع6، 13 ذي القعدة 1354هـ/7 فيفري 1936. وقصيدة: رأيت الأرض للساعين خلدا، البصائر، ع9، 5 ذي الحجة 1345هـ/28 فيفري 1936.

-البصائر- بتأسيس جمعية إخوان الأدب³⁶، دعا فيها الأدباء للالتحاق بها، ويبدو أن هذه الرغبة إنما جاءت مواكبة منه لما يحدث في المشرق من تأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية. وأثرى الزاهري تاريخه الصحفي بمراسلاته لجرائد محلية وأخرى مغاربية ومشرقية، تفاعل فيها مع الأحداث الجزائرية والعربية؛ فراسل الإقدام الجزائرية، والإصلاح للعقبي. والصحف التونسية؛ كالنهضة والزمان والوزير، التي نشر فيها قصيدة إلى الأمير خالد بعد إبعاده إلى الإسكندرية بعنوان: "إلى الزعيم الجزائري"³⁷. كما شارك في الصحف العربية بمقالات أدبية ودينية، تميز فيها بأسلوبه الشيق، الذي ميزه بشكل ملفت عن غيره، من خلال مراسلاته للفتح، والمقتطف، والرسالة.

³⁶ - البصائر، ع8، 28 ذي القعدة 1354هـ / 21 فيفري 1936. وع11، 26 ذي الحجة 1354هـ/20 مارس 1936.

³⁷ - محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج1، ص76-79.

3. إسهامات الزاهري في الصحف العربية:

لم تذكر المصادر المطلع عليها أن الزاهري زار المشرق، طالبا للعلم أو حاجا، ومع ذلك أبدى تعلقا به وارتبط بنهضته الفكرية، خاصة مع الهجمة الاستعمارية التي هدفت لقلع الجزائريين من جذورهم الإسلامية والعربية، واستئصالهم عن هويتهم الدينية واللغوية. فعلى غرار جل رواد الإصلاح الذين تعلقوا بالمشرق، ونخبته المثقفة من مصلحين وشعراء وأدباء، والذين استقبلوا بلهفة أخباره -المشرق- عن طريق الصحف والمجلات التي تصلهم بطرق شرعية، وأخرى خُفية تسلك طرقا غير شرعية، خشية اكتشاف الإدارة الاستعمارية لها، وهي التي فرضت حصارا حديديا على كل شارذ ووارد آت من هناك، ومع ذلك حدث التواصل والتفاعل والتأثر، وهو ما أقره أبو اليقظان في قوله: «أنا لم أتلمذ عن صحافي فأخذ عنه أسلوبه، وإنما أخذت دروسا في السياسة عن الأستاذ عبد العزيز الثعالبي بتونس، ودروسا في أساليب الكتابة، بإدماي على قراءة الجرائد المصرية...»، ويردف محمد الهادي سنوسي قائلا: «من منا معشر الأدباء الجزائريين، من لم يفتح عينه منذ انتهت الحرب الكبرى على آثار مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه وأحمد أمين والمنفلوطي والزيات. والزيات من أفراد الرعيل الثاني، أقول الثاني؛ لأنهم سبقوا طبقة الشيخ محمد عبده، ومن التف حوله من أمثال رشيد رضا...»³⁸. وبدوره يقر الزاهري بهذه الحقيقة في مقاله: "مكانة مصر في المغرب العربي": «وما من شيء له أثر في حياة المغرب العقلية أو الاجتماعية إلا وهو مصري غالبا...»³⁹ ويواصل بقوله: «ولا يزال المغاربة ينظرون بعين الاعتبار إلى كل من طلب العلم بالأزهر الشريف، ولو أنه كان قليل التحصيل ويعترفون بالفضل لكل من أقام في مصر أو رآها... وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها

³⁸ - محمد ناصر: المقالة الصحفية، ج1، ص62-63.

³⁹ - محمد السعيد الزاهري: "مكانة مصر في المغرب العربي"، مجلة الرسالة، ع135، 3 فيفري 1936،

القوي في هذا المغرب.... وكل أديب كبير في مصر له أنصار وأشباع في بلاد المغرب»،⁴⁰ وختم كلامه بأبيات شعرية⁴¹ قال فيها:

وإن الذي هو ما بيننا وما بين مصر لمحض النسب
رباط العروبة يجمعنا ويجمعنا ديننا والحسب

يكنم اهتمام الزاهري بالمشرق في الموضوعات التي طرقتها، وعايش فيها أحداث العالم الإسلامي، سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وشارك بقلمه في الكثير من المسائل التي أثارت ضجة ونقاشا حادا، وتفاعل معها مستنكرا أو مؤيدا. فعاب على المصريين تعيين المستشرق فنسك كعضو في المجمع اللغوي المصري، رغم ما عرف عنه من افتراءات على الإسلام، والقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، وتصريحاته المشينة في حق الشرقيين⁴². فتأثر الزاهري بذلك، وضم صوته للمنتقدين لهذا التعيين لحساسية المنصب وخطورته من جهة، وبدافع الغيرة على الدين، ونبى الأمة من جهة أخرى، فكانت قوميته العربية والإسلامية هي المحرك الأول لهذا الرفض.

كما كانت للزاهري وقفة مع السجلات الأدبية التي عرفتها الساحة الأدبية في المشرق، وأثارت الكثير من الانتقادات، فأخذت حيزا من الصحف المشرقية التي دونت هذه المعارك بين مؤيد ومعارض. وربما كان سلامة موسى (1887-1958)، وعلي عبد الرازق (1880-1966)، وطه حسين (1889-1973) من أكبر الشخصيات التي تحركت الأقلام بنقد أعمالهم، التي كان مضمونها جريء من حيث الطرح، وأتت بفرضيات وإيديولوجيات استفزت العلماء في دينهم وأعرافهم وقوميتهم، وكادت أن تشكل منزلقات فكرية تمس الدين الإسلامي وعقيدته، لولا تصدي علماء ومفكري الإسلام لهم. وانتقل صداها إلى المغرب العربي، فشاركت النخبة من المفكرين في هذه النقاشات والسجلات.

⁴⁰ - المقال نفسه.

⁴¹ - المقال نفسه.

⁴² - الزاهري: "شؤون وشجون"، مجلة الصراط السوي، ع 14، 15 رمضان 1352هـ/ 18 ديسمبر

1933م، ص4.

وأثارت كتابات طه حسين الكثير من الجدل، وجرته إلى المحاكم، خاصة كتابه: "في الشعر الجاهلي"⁴³ الذي أثار استنكار الزاهري، وانتقده نقدا لاذعا في مقال بعنوان: "الدكتور طه حسين شعوبي مآكر"⁴⁴، ومس هذا النقد مؤلفاته (في الشعر الجاهلي، الجمل، في الصيف)، ووضع الزاهري في مرتبة العميل الذي يُسوق للأفكار التي تُخدم الاستعمار. وتطلع الزاهري لكل ما هو مشرقي، فراسل العديد من الصحف والمجلات، كجريدة المقتطف⁴⁵، التي وصفها بقوله: «...والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة، ويعلمنا الحياة والحكمة في أسلوب ساحر لذيذ...»⁴⁶.

إلا أن افتقادنا لجميع أعداد هذه الجريدة، قد فوت علينا متعة تتبع كتاباته - الزاهري- في هذه الجريدة، والموضوعات التي تناولها، فلم نعثر على مقالاته التي أرسلها لها فيما توفر لدينا من أعداد المقتطف⁴⁷.

43- هو مجموعة دروس في الأدب الجاهلي، ألقاها طه حسين على طلابه (1926) ثم جمعها في كتاب. واعتبر طه حسين في هذا الكتاب أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب في تلك المرحلة، وجره هذا المنطلق إلى انكار قصة إبراهيم وإسماعيل، وإنكاره للقراءات السبع، وبأنها ليست وحيا، وإنما هي قراءة استعملها العرب الذين قرأوا بها كما استطاعوا. كما طعن في نسب النبي صلى الله عليه وسلم. وأنكر أيضا فيه امتداد الإسلام إلى دين إبراهيم. الأمر الذي أثار خاصة الناس وعامتهم، وجعلهم يشكونه للنائب العام بالحكومة المصرية. للمزيد انظر: عبد المتعال الصعيدي: القضايا الكبرى في الإسلام، دار الشريعة، الجزائر، ص 428 وما بعدها.

44- الزاهري: "الدكتور طه حسين شعوبي مآكر"، مجلة الصراط السوي، ع14، 19 جمادى الثانية، 1352هـ/ 9 أكتوبر 1933م، ص 4-5.

45- المقتطف مجلة علمية أصدرها في بيروت (1876) يعقوب صروف ونمر فارس، وانتقلت إبتداء من 1884 إلى مصر، تناولت مواضيع مختلفة؛ كالصناعة والزراعة وتدبير المنزل والتقاريط والمسائل والأخبار. واستمرت هذه المجلة إلى غاية 1952. للمزيد انظر: الفيكونت فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، ج2، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص 125. وعلي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1791-1914)، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، 1978، ص 212-213.

46- صالح خريفي: محمد السعيد الزاهري، ص 140.

47- الأعداد التي حصلنا عليها متفرقة ما بين 1900 إلى 1906. وأعداد أخرى متفرقة من عشرينات القرن العشرين.

ومن جهة أخرى كان الزاهري مُقلًا في كتابته لها، فكان قارئًا وفيًا لها. وكل ما نعلمه أنه راسل المجلة بمقالين؛ الأول تحت عنوان: "هل البربر عرب؟ وهل لغتهم ضاد أخرى" والذي أشار له في مجلة الرسالة⁴⁸، كما أشار له أنور الجندي في كتابه: "الفكر والثقافة المعاصرة"⁴⁹ ومقال ثان عن محمد بن أبي شنب بعد وفاته⁵⁰.

كما راسل الزاهري أيضا مجلة الفتح⁵¹ لمحّب الدين الخطيب (1886-1969)، في وقت مبكر من مشواره الصحفي، في مرحلة العشرينات من القرن الماضي. فكان ضمن باقة من خيرة أدباء المشرق؛ كالرافعي وشكيب أرسلان وعبد الوهاب عزام ومصطفى أحمد الرفاعي وغيرهم كثير. وقد كانت للزاهري فيها سلسلة مقالات، تصدرت بعضها افتتاحية المجلة، وقد لاقت هذه المقالات استحسان القراء، الأمر الذي دفع محب الدين الخطيب لجمعها -المقالات- في كتاب: "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"⁵² والذي قدم له محب الدين بقوله: «هذه الفصول كتبها أخي في الدعوة الأستاذ محمد السعيد الزاهري لتنتشر في صحيفة الفتح، فرأيتها مثالا صالحا للدعوة للخير وما يجب أن يكون عليه الداعي

⁴⁸ - المقتطف، يوليو 1934، نقلا عن: مجلة الرسالة، ع125، السنة الثالثة، 28 شعبان 1354هـ/ 25 نوفمبر 1935، ص1916.

⁴⁹ - أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ/ 1965م، ص 98.

⁵⁰ - عنوان المقال: "صفحة مجيدة من رجال الأدب والعلم في الجزائر"، انظر: صالح خرفي: المرجع السابق، ص129.

⁵¹ - جريدة الفتح (1926-1947) صدرت أحيانا شهرية، وأحيانا أخرى أسبوعية. عرفت بنفسها كونها صحيفة إسلامية علمية أخلاقية، تولى عبد الباقي سرور نعيم رئاسة تحريرها في العامين الأولين، ثم محب الدين الخطيب، شملت مواضيعها كل العالم الإسلامي، وتناولت قضايا الاستعمار وفضح أساليبه خاصة في أقطار المغرب العربي، وقاومت التغريب والغزو الفكري والثقافي وأعمال دعاة الإلحاد. للمزيد: انظر: أنور الجندي: تاريخ الصحافة الإسلامية، ج2، (الفتح-محب الدين الخطيب)، دار الأنصار، مصر.

⁵² - صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عن المطبعة السلفية في القاهرة 1926، وطبع مرة ثانية بمطبعة الاعتدال بدمشق 1933، وطبعة ثالثة بدار الكتب، الجزائر.

من بصيرة وحكمة لذلك استخرت الله عز وجل في إفرادها بهذه النشرة»⁵³، وأشاد به الكثير⁵⁴، وتمت ترجمته إلى الفرنسية، وفصل واحد منه إلى لغة الملايو⁵⁵.

ويتألف الكتاب من سبعة فصول وخاتمة؛ يتناول كل فصل منه بأسلوب قصصي جذاب، ومن ذلك: عائشة، الكتاب الممزق، صديقي عمار، طلبة إفريقيا الشمالية، مع أديب إسباني في أحد منتزهات وهران، في الأندلس المسيحية، كيف يغوون شبابنا⁵⁶.

53- صالح خريفي: محمد السعيد الزاهري، ص14.

54- كشيكيب أرسلان (1869-1936) الذي راسل الزاهري برسالة عبر فيها عن إعجابه بفصوله، واستدل به على وجود أعمدة أدبية وعلمية في الجزائر؛ كالزاهري وابن باديس والعقبي والميلي ودعاه إلى المثابرة والمزيد. وأحد مراسلي الفتح الأستاذ محمود ياسين من دمشق والذي كان يتتبع فصول هذه المقالات، ويراسل المجلة بمقالات أسماها سربي وساءني، يبدي فيها ما أعجبه مما كتب الزاهري، وما أساءه. بالإضافة إلى الأنسة تفيده علام المدرسة الثانوية التي راسلت الفتح أيضا وأثنت عليه خاصة بفصل: الكتاب الممزق. كما نوهت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعبارات الثناء عن هذا العمل، وبأنه دليل على وجود نضضة أدبية. للمزيد ينظر: الزاهري: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب، الجزائر، د.ت (المقدمة). نقلا عن أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص34-35.

كما نوه به عبد الحميد بن باديس في عموده المعنون: ثمار العقول والمطابع، بقوله: «عرفنا الشيخ السعيد الزاهري خنديدا وعرفناه كاتباً رحب البيان وعرفناه في الكتاب داعية إسلاميا كبيرا، فقد خاض في مسألة الحجاب والمرأة الجزائرية ومسألة الإسلام والتغريب والشبيبة المتعلمة، فأبان من الحقائق وأقام من الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم -إذا أنصف- إلا بالإكبار والتسليم وساق ذلك كله في أسلوب من البلاغة الشبيه بالروائي سهل جذاب لا تستطيع إذا تناولت أوله أن تتركه قبل أن تأتي عن آخره»، الشهاب، مج7، ج12، شعبان 1350/ ديسمبر 1931، ص793.

55- رغداء محمد أديب زيدان: «محمد السعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية...»، مقال سابق، ص74.

56- الشهاب، مج7، ج12، شعبان 1350/ ديسمبر 1931، ص793. ورغداء محمد أديب زيدان: المقال السابق، ص74 وما بعدها.

واستطاع الزاهري بأسلوبه الروائي، أن ينقل الواقع الجزائري، بصورة مازج فيها بين الخيال والواقعية إلى وسط بعيد عن الجزائر، عرفه وفق منهج قرآني مصداقا لقوله تعالى: (قد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) [يوسف111]، نستشف منه العبر والدروس بعيدا عن الأسلوب الخطابي والتوجيهي الجاف.

كما اختار محب الدين الخطيب هذا الكتاب من ضمن قطوفه التي جمعها في الحديقة⁵⁷، حيث أعاد نشر الفصلين الأولين منه (عائشة)⁵⁸، (الكتاب المحزق)⁵⁹. ولم يخف الزاهري بدوره اعجابه الكبير بكتاب الحديقة في محادثة جمعتة وعمر راسم (1883_1939) الذي نشره في جريدة الفتح بقوله: «هي حديقة في الأدب العربي فيها من كل الثمرات وفيها من كل الأزهار والورود وفيها من كل رزق كريم... يقرؤها المؤمن فيزداد إيمانا، وقرؤها الشرقي الخامل فيشعر أن في نفسه عزة وإباء...»⁶⁰.

وفي العموم يمكننا القول؛ بأن الزاهري تميز بزخم فكري كبير، ونشاط متميز، فواكب قضايا بلاده بقلمه، وراسل صحفا مشرقية أخرى في نفس الوقت. تجاوب فيها مع القضايا السياسية والسجلات الأدبية، مما يعكس ولوعه بالمشرق ونهضته الفكرية والأدبية، فقد عالج العديد من المسائل عبر صفحاتها، عكست النهضة الأدبية والفكرية التي نمت وبدأ عودها يشتد في الجزائر، كما عكست فكره المتحرر.

⁵⁷ - كتاب الحديقة أصدره محب الدين الخطيب ضمن سلسلة من كتب مكتبة الجيب، جمع فيه صاحبه ما انتقاه من خيار ما ألف من صحف وكتب، طبعه في أجزاء متتابعة في المطبعة السلفية التي كان يمتلكها ابتداء من عام 1341هـ إلى 1354هـ، وطبع أجزاءها في طبعتين. انظر: محب الدين الخطيب: الحديقة (مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة)، اعتنى بها: سليمان بن صالح الخراشي، مج1، مكتبة السلفية، مصر، ط2، 1432هـ/2011م، (مقدمة الخراشي) ص7، و(مقدمة الخطيب) ص27.

⁵⁸ - المصدر نفسه، مج2، ج8، ص957-960.

⁵⁹ - المصدر نفسه، مج2، ج8، ص960-964.

⁶⁰ - صالح خريفي: محمد السعيد الزاهري، ص114-115.

4. مراسلات الزاهري لمجلة الرسالة:

وهي إحدى النماذج، التي ارتأينا أن نجعلها نموذجاً لكتابات الزاهري ومراسلاته للصحف المشرقية لجملة أسباب نذكر منها؛ أن هذه المراسلات لم تنل حظها من البحث، ومن تناولها كانت من جملة إشارات إلى مراسلات الرجل المشرقية دون تفصيل، بالإضافة إلى اكتمال أعداد هذه المجلة لدينا، مما يسر لنا القيام بمسح لأعدادها، وحصر مشاركة الزاهري فيها. وإسهاماً منا في إمطة اللثام عن جانب مضيء من الإرث الفكري والثقافي لهذا العلم، عسى أن تكتمل الصورة عن جهوده الفكرية والإصلاحية.

- تعريف مجلة الرسالة: لصاحبها ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات⁶¹، وهي مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، صدر أول عدد منها في 15 يناير 1933 وتوقفت في 23 فبراير 1953⁶² صدر خلالها 1025 عدداً. وفي هذه المدة الطويلة التي ناهزت العشرين سنة، كانت الرسالة بمثابة مدرسة أدبية لمعظم أدباء الأقطار العربية، وقد تركت أثراً بعيداً في تطوير الأدب العربي المعاصر، وربطت القديم بالحديث ووصلت الشرق بالغرب⁶³. فكانت منبراً للأدب الراقي والرفيع، جمعت الصفوة من نخبة النهضة الفكرية خلال مدة صدورها؛

⁶¹ - أحمد حسن الزيات (1885_1968) ولد بمحافظة الدقهلية بمصر تعلم مبادئ العلوم، وحفظ القرآن في كتاب القرية، ثم التحق بالأزهر وعمره ثلاثة عشر سنة، قضى به عشر سنوات تعلم فيها العلوم الشرعية والأدبية، ثم التحق بالجامعة الأهلية أين تتلمذ فيها ثلثة من المستشرقين وتخرج منها سنة 1912، درس إلى جانب عمله كأستاذ في المدارس الأهلية الحقوق، وتعلم الفرنسية، كما عين بالجامعة الأمريكية كرئيس لقسمها الأدبي، وأستاذاً بدار المعلمين في بغداد. ثم انقطع عن التدريس، واهتم بالصحافة والأدب فأنشأ مجلة الرسالة (1933)، وألف تاريخ الأدب العربي، وأصول الأدب والدفاع عن البلاغة. ويعد الزيات من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، وعضواً بارزاً من أعضاء المجمع العلمية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد. للمزيد: انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج11، ط1، دار الجيل، بيروت، 2006، ص364-366.

⁶² - كتب الزيات في افتتاحية آخر عدد منها مقال جد مؤثر، بعنوان: "الرسالة تحتجب" عدد فيها أسباب احتجاجها. مجلة الرسالة، ع1025، 7 جمادى الثانية 1372هـ/ 23 فبراير 1953.

⁶³ - أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص446.

كالزيات، وطه حسين، ومصطفى الراجعي، وركي مبارك، وأحمد أمين...الذين أثروا بدراساتهم ومقالاتهم الهادفة صفحاتها، والتي شهدت أيضا معاركهم الأدبية، كما تفتحت المجلة على الثقافة العالمية بترجمة أعمال أدبية أجنبية.

والمطلع على هذه المجلة يلحظ شح مادتها، إن لم نقل انعدامها فيما تعلق بالمغرب العربي أو الجزائر، اللهم إشارة بسيطة التي أشار فيها الزيات إلى أوضاع العالم الإسلامي، في معرض افتتاحيته بمناسبة العام الهجري الجديد (1353هـ)، قال فيه: «في الجزائر وتونس ومراكش قلوب تذوب من حرارة الظلم ورؤوس تدور من خدر السياسة وشهداء في سبيل الوطن والذين يخطون لأبنائهم بدمائهم وصية المستقبل»⁶⁴. رغم أنه كان في الجزائر أصوات بدأ يعلو صيتها ومجلات وصحف لها مكانتها، وهو الأمر الذي عابه فرحات الدراجي (1906-1951) في كلمة عتاب انتقد فيها بشدة تجاهل المشاركة لهم، وخص منهم مجلة الرسالة والزيات بكلام لادع، عندما لم يلتفت صاحبها لتقريب سجل الجمعية المهدى إليها، بينما اهتمت المجلة على رأيه بالكتابة عن راقصات أروبا وكتب العقاد وسنور المازني⁶⁵.

كما وجهت الرسالة من جهتها إعلانا، خصت به المغاربة، ضمن ركنها البريد الأدبي، والذي عادة يستقبل المراسلات القادمة من كل أنحاء البلاد العربية، وطلبت منهم عدم الكتابة لها بالخط المغربي الذي يتطلب وقتا لقراءته، وألحت على ضرورة كتابة أعمالهم -المغاربة- بالخط المعروف (المشرفي) أو الآلة الكاتبة⁶⁶.

أما عن إسهامات الزاهري في هذه المجلة، فكانت عن طريق المراسلة، وكان لها وزنها الأدبي، وقيمتها العلمية؛ وهي أربعة إسهامات في أعداد متفرقة من المجلة، نرتبها حسب تاريخ نشرها:

⁶⁴ - مجلة الرسالة، ع 42، السنة الثانية، 9 محرم 1353هـ / 22 أبريل 1934م، ص2.

⁶⁵ - مجلة البصائر، ع89، 29 رمضان 1356هـ / 3 ديسمبر 1937، ص2.

⁶⁶ - مجلة الرسالة، ع 166، السنة السادسة، 21 جمادى الآخرة 1355هـ / 7 سبتمبر 1936م، ص1480.

- اللغة السيوية بربرية⁶⁷، الذي نشره الزاهري ضمن البريد الأدبي في مراسلة منه للمجلة، وفي الحقيقة لا يمكننا اعتباره مقال بل هو تعقيب عن موضوع نشرته المجلة في عددها (121) للأستاذ محمد ثابت، أكد فيه صاحبه على أن اللغة السيوية لغة بربرية⁶⁸، وهو ما وافقه عليه الزاهري، وأضاف إلى ما يقول حججا أخرى، يثبت بها أن بعض الألفاظ لازلت مستعملة وهي بربرية، كما أكد على عربية اللهجة البربرية، واعتبرها من اللهجات السامية، التي استقلت عنها بتباعد الزمن، وأشار إلى مقاله الذي تناول فيه المسألة: "هل البربر عرب وهل لغتهم ضاد أخرى" الذي نشره في مجلة المقتطف بتاريخ يوليو 1934⁶⁹ الذي أكد فيه بالحجج على أن أصل البربر عربي، وفند بالأدلة الأقوال التي تثبت لاتنتيهم، وهو المسلك الذي سلكته فرنسا للتشكيك في أصل البربر، بهدف فصلهم واقتلاعهم عن أصولهم العربية.

- مكانة مصر في المغرب العربي⁷⁰؛ وهو مقال طويل من ثلاث صفحات، أثار فيه الزاهري مسائل في غاية الأهمية، بيّن فيه مدى لهفة المغاربة والجزائريين لكل ما هو مصري، كأخبار الفنانين من أمثال أم كلثوم، وعبد الوهاب، سامي الشوا، والتي كانت تصلهم عن طريق الفنوغراف، واقتناء اسطواناتهم، ولو بأهض الأثمان، والإقبال على عروض أفلامهم بحماس وشوق. كما أكد صدى مصر على الحياة الاجتماعية والعقلية والعلمية والصوفية والدينية، الذين تجمعهم وإياهم روابط من النسب والحضارة.

⁶⁷ - مجلة الرسالة، ع 125، السنة الثالثة، 28 شعبان 1354هـ/ 25 نوفمبر 1935م، ص 1916.

⁶⁸ - نسبة إلى سيوة، وهي واحة في الصحراء الغربية المصرية، يسكنها أمازيغ مصر، يتحدثون بلهجة خاصة (سيوية)، إضافة إلى لهجتهم المصرية، وأهل سيوة هم أمازيغ مصر، تجمعوا فيها بعد هجرات تعود إلى آلاف السنين.

⁶⁹ - أشار أحمد لعجال، أن هذا المقال نشره الزاهري في مجلة الزمان التونسية، ع 221، السنة 6، 14 أوت 1934، ص 2-3. انظر: أحمد لعجال: الخطاب الإصلاحية، ص 186. وهو المقال نفسه الذي نشره الزاهري في المقتطف، والذي أشار إليه أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة، ص 98، وعلى ما يبدو أن الزاهري أعاد نشره في مجلة الزمان.

⁷⁰ - مجلة الرسالة، ع 135، السنة الرابعة، 3 فبراير 1936، ص 178-180.

كما أشار الزاهري في نفس المقال لموضوع خطير، حاول الفرنسيون جهدهم لترسيخه بكل الوسائل، بهدف فك روابط العروبة بين أقطار العالم الإسلامي؛ وهي مسألة التواصل اللغوي فيما بين أطراف العالم الإسلامي، وقالوا بأن الشعوب العربية تتكلم بلغات مختلفة بعيدة عن اللغة العربية، قياسا على اللاتينية. كما استنكر في الأخير تصرفات بعض المنتسبين بفكرة فرعونية مصر بقصد اقصائها عن العروبة والعرب، وضمها إلى حضيرة الغرب. وتجدد الإشارة أيضا إلى أن الزاهري في هذا المقال سبق فرحات دراجي، في إلقاءه باللائمة والعتاب عن تجاهل المصريين، الذين يخطئون في أسماء مدن المغاربة وشخصياتهم⁷¹.

- صورة من المجتمع الجزائري، إني أرى في المنام⁽⁷²⁾؛ وهي قصة صاغها الزاهري بحبكة متينة، تروي حيلة استعملها أحد شيوخ الطرق الصوفية ليسترزق بها، وقد صاغها وفق بناء قصصي حديث فابتدأها من النهاية، ثم سرد تفاصيلها من البداية. وللزاهري إرث فكري وإصلاحي حافل بهذا النوع الأدبي، الذي جعل منه قالباً يصب فيه أفكاره ومنهجه الإصلاحية، بدأ من قصة "المساواة وفرنسوا والرشيد" في أول جريدة له الجزائر (ع2، 10 أوت 1925)، لذلك عدّه عبد المالك مرتاض رائدا لهذا الفن، واعتبر هذا العمل أول محاولة قصصية في تاريخ الأدب القصصي في الجزائر⁷³، رغم نقائصها الفنية، وما تقتضيه القصة القصيرة من فنيات.

لكن الذي يعيننا هنا، هو مقصده من توظيفه لهذا الفن الأدبي لمعالجة هذه المسألة، فالمعلوم عندنا أن الزاهري أعلن الحرب على الطريقة مبكرا، وصفحات مجلة السنة والشريعة والصراف شهود على ذلك. وما هذا المقال القصصي الذي أرسل به إلى مجلة الرسالة إلا

⁷¹ - حيث قال في ذلك: «على أن هذه الصحف المصرية الكبرى لا تهتم ببلاد المغرب إلا قليلا ولا تتكلم إلا كما تتكلم عن مجهل من المجاهل التي لم تطأها قدم إنسان، فمن خلط في أسماء المدن المشهورة بالمغرب وفي أسماء الأشخاص البارزين، إلى حوادث تحوكتها عن المغرب وتخطت فيها حبط عشواء...». ينظر: مجلة الرسالة، المقال نفسه، ص180.

⁷² - مجلة الرسالة، ع145، السنة الرابعة، 13 أبريل 1936، ص583-585.

⁷³ - عبد المالك مرتاض: «صورة المقاومة الوطنية في قصة فرنسوا والرشيد للزاهري»، مقال سابق، ص34.

حلقة من حلقات هذه المعركة، التي أتقن فيها الزاهري من موقعه كمصلح، فضح أساليب الطرق الصوفية وخرافاتهم وأباطيلهم. وعليه فالزاهري لم يكن يقصد الكتابة في هذا النوع الأدبي لذاته، وإنما استخدمه كوسيلة إصلاحية لمعالجة الأمراض الاجتماعية التي زكاها الاستعمار الفرنسي.

كما أن من مميزات الزاهري في سرده القصصي هذا، صدق مشاعره، الذي يصعب على القارئ التمييز بين الحقيقة والخيال فيها.

وللاشارة أيضا فإن مجلة الرسالة عرّفت بالزاهري في هذا المقال على غير عاداتها، بكونه عضوا بجمعية العلماء المسلمين.

-المطابع السارقة⁷⁴؛ وهي المراسلة الثانية التي تقدم بها الزاهري إلى مجلة الرسالة ضمن بريدها الأدبي؛ تحدث فيها عن أحد الطابوهات المسكوت عنها، والتي ألحقت الضرر بالحركة الأدبية في مصر، وغبنت معها أدباء العرب في ذلك العصر، وهي المطابع السارقة التي يسعى أصحابها للريح السريع على حساب الجهد الفكري للأدباء، وذلك بطبع أعداد إضافية وبيعها عن طريق عملاء لصالح هذه المطابع، بسعر زهيد عن سعرها المعتاد، وهو الأمر الذي وقف عليه الزاهري بفاس المغربية أيضا، فلم تقتصر على مصر فقط، بل عمت مختلف البلاد العربية، والتي كانت تصلها من مصدر واحد هو المطابع السارقة، لذلك رأى ضرورة تدخل الحكومة المصرية لوقف هذه الحركة التي أضرت بمصر وبالحركة الأدبية في العالم العربي.

ونستشف من خلال هذه الأعمال التي أرسل بها الزاهري إلى مجلة الرسالة، أنها شملت مواضيع حضارية وفكرية وإصلاحية وأدبية، تمس الجزائر ومصر والعالم العربي والإسلامي ككل. أثبت فيها الزاهري عن قدراته في النقاش والتحليل، مسيرا في ذلك قضايا عصره والحركة الأدبية العربية. فعلى نفس منهج ومواضيع المجلة كانت كتاباته التي غطت المدة الزمنية (1935-1938)، وشهدت نضجه الفكري، وإرهاصاته الفكرية والإصلاحية التي بدأ يسلكها وفق قناعات جديدة في منهجه الإصلاحي.

⁷⁴ - مجلة الرسالة، ع250، السنة السادسة، 17 صفر 1357هـ/18 أبريل 1938، ص677.

وأسلوب الزاهري في هذه الكتابات التي خص بها مجلة الرسالة لا تقل عن نظرائه من الأدباء والعلماء المصلحين المشاركة؛ فبلغة بسيطة وألفاظ بعيدة عن الزخرفة والتصنع، اهتم فيها بالمعاني لا مباني الألفاظ، عالج فيها مواضيعه بأسلوب حديث وبسيط في نفس الوقت، متأثراً في بعضها باللفظ القرآني، الذي وظفه توظيفاً مناسباً كقوله في مقاله "إني أرى في المنام": «خرج من السوق خائباً مكتئباً ملامحه عليها غبرة ترهقها فترة». «وإن من اتبع الشيخ فجزاؤه عند ربه جنات عدن يدخلونها، وإن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير»⁷⁵. كما بدى واضحاً أيضاً محاكاته لبعض أدباء المشاركة، خاصة الراجعي (1880-1937) الذي كتب في الرسالة أجمل قصصه الدينية والأخلاقية ما بين 1934-1937⁷⁶، وهي نفس الفترة التي راسل الزاهري فيها المجلة، وما من شك أن الزاهري اطلع على مؤلفات الراجعي وتأثر بها.

ومما نلمحه أيضاً في هذه الكتابات، جرأة في الطرح؛ فلا يجامل ولا يداهن، وإنما يذكر الحقائق كما هي، فنراه ناقداً لتجاهل أهل مصر للمغاربة، وخلطهم لأسمائهم ومدنهم، كما أبدى رأيه بصراحة في بعض فناني مصر دون أن يخشي لومة لائم، فعبر عن عدم إعجاب به بعد الوهاب وشريطه الوردية البيضاء، دون أن يلتفت لما لاقاه هذا الشريط من إقبال الناس، وتلهفهم عليه.

الخاتمة:

وفي الأخير نقول أن الزاهري ينطبق عليه قول أبي تمام⁷⁷:

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

⁷⁵ - مجلة الرسالة، ع145، 13 أبريل 1936، ص583.

⁷⁶ - جمع الراجعي هذه المقالات في كتاب وحي القلم، من ثلاثة أجزاء، وكان آخر عمل قام به قبل وفاته سنة 1937. انظر: الراجعي: وحي القلم، ج1، السلسلة الأدبية الأنييس، الجزائر، 1991، (المقدمة).

⁷⁷ - أبو تمام: ديوان أبي تمام، تقديم: محي الدين صبحي، مج1، ط1، دار صادر، بيروت، 1997، ص126.

فقد اهتم بمموم وطنه الأم، ولم يغفل عن قضايا الأمة العربية والإسلامية، فرسم صورة من صور التقارب المشرقى المغربى، وشكل حلقة من حلقات التواصل الفكرى الأدى، رغم الظلام الحالك الذى فرضته فرنسا على شعبه وبلاده، والقيود التى وضعتها لفصل الجزائرىين عن هويتهم وقوميتهم العربية الإسلامية، بجدار من القوانين والممارسات والتعتيم الإعلامى. فكان تواصله مع المشرق وصحفه خاصة المصرية منها، يمثل قمة التحدى للمخططات الفرنسية، ونخص بالذكر تواصله مع مجلة الفتح التى منعتها السلطات الاستعمارية من دخول الجزائر.

فالزاهرى همزة وصل ونافذة مفتوحة، شارك المشاركة فى قضاياهم الفكرية واللغوية والأدبية، ونقل صورة عن الجزائر، وأوضاعها الاجتماعية والدينية والفكرية إلى أفاق أخرى أوسع من البوثقة التى حصرتها فرنسا فيها. كما أثبت أن فى الجزائر أقالما، كالأبراهيمى والعقبى وابن باديس، لهم مكانتهم وكتاباتهم وأراؤهم التى تثبت ذاتهم واستقلال آرائهم الفكرية دون نفي التأثير بالمشرق ورجاله.

كما نخلص أيضا فى ختام هذا المقال، أن موضوع شخصية الزاهرى لازلت ميدانا خصبا، بحاجة إلى البحث والدراسة، وتناوله من مختلف مناحى حياته الإصلاحية والتعليمية، والسياسية والصحافية والأدبية، التى تعكس تاريخ الجزائر الفكرى والإصلاحى، بقراءة جديدة غير التى عهدناها عند باقى رجال الحركة الإصلاحية